تسير ضد البار ومتر اي انها تنخفض وهو يرتفع حتى تبلغ اوطأها حين يبلغ ارفعه ثم ترتفع ويهبط حتى تبلغ ارفعها حين يبلغ اوطأه الا ان الانحطاط في البلوغ غير مطّرد وربما كان ذلك ناشئًا عن ضغط بخار الماء في الهواء. فلو كانت ارصاد الهيغرومتر مقيدة مع الارصاد المقيدة في رسالة الدكتور بوست فربما كنا اتصلنا بمقارنة جداول مرونة البخار بجداول الحرارة وضغط الهواء الى تقرير هذا الحكم وهو: ان ضغط الهواء يزيد شتاء بزيادة انخفاض الحرارة وينقص صيفًا بتناقصها وانه ليس هناك سبب غير الحرارة من الاسباب التي يعتدّ بها في تغيير معدل ضغط الهواء صيفًا وشتاء. ولكن اهمال صاحب الرسالة لتلك الارصاد منعنا من البلوغ الى ذلك

وفي الرسالة غير ما ذكرنا كثيرٌ من مواضيع المؤاخذة والانتقاد اعرضنا عنها حبًّا بالاختصار. والخلاصة ان قيمة الرسالة هي بما تضمنته من الارصاد والمخابرة المسهلة للاحاطة بمعدّل الرياح دفعةً واحدةً وعليه فنحن نثني على صاحبها لطبعها وايصالها الينا واما بقيّة ما فيها مما يعوّل عليه فليس بالشيء الكثير. وحبّذا لو كان صاحبها يقصد الفائدة الكبرى فيطبع معدلات ارصاد بيروت كلها وينشرها بين ابناء الوطن ليحملوا النظار فيها ويقيسوا عليها ما يشاهدونه في هواء البلاد. فلا جرم ان ذلك يأتي بفوائد عميمة لا يأتي بها نشر هذه الرسالة واشباهها في بلاد كبلاد الانكليز والولايات المتحدة حيث يطّلع علماء المنيور ولوجيا على ارصاد بيروت يومًا فيومًا ويقيّدونها في سجلاّتهم ويقرنونها بغيرها من الارصاد العديدة التي ترد عليهم ويعرفون الغرض المقصود منها فيتخذونه لحاجتهم فانهم في غنًى عن تقارير يشتبه فيها ولا يعوّل في العلم عليها

فتاوي الحكماء في الخلود والفناء

لباحث ان العصر بجانب اهرام مصر

في الكون غير المنظور

ان الذي ابتدئ لك من امر بداية العالم وهايئ سنيّ على فرض ان مادة هذا الكون محدودة المقدار على ان جماعة ينكرون ما قرّرناه ويقولون ان مادة هذا الكون غير محدودة كما ان ما ذكرت من الطوارئ الكائنة عليها لا يمكن لها بداية فالعالم عندهم قديمٌ غير محدودٍ كان من الأزل ويبقى الى الأبد ولا حدّ له في الزمان ولا في المكان. وانت عالم انه اذا صحّ قولهم بان العالم قديمٌ ستسقط دعواي بامكان وجود عالم نشأ هذا العالم منه وكان زعمي بوجود الكون غير المنظور وهما لا حقيقة له. فوجب عليّ اذًا لثبوت دعواي ان انفي قدم

هذا العالم واثبت حدوثهُ من عالمٍ آخر غير منظور وهذا ما اشرع فيهِ وبالله التوفيق بانيًا حجَّتي على الجوهر الفرد والدقيقة اللذين شبَّهوهما بحجارة العالم والاثير الذي شبهوهُ بطينهِ وعلى القوَّة التي هي اصل كل حدثٍ وتغيير فيهِ . وتمهيدًا لذلك اضرب لك هذا المثل

خرج اعرابيٌّ ذات يوم يتصيَّد فلقي في طريقهِ ساعةً فرفعها ولم يكن في زمانهِ قد رأى الساعة فنظر فيها فاعجب بها وكان من ذوي البساطة والبلهِ فجعل يقلبها ويتأمَّل في زنبركها ودواليبها واحكام صنعتها حتى عرف تركيبها وادرك الغاية المقصودة من كل جزءٍ من اجزائها ومن اجتماع تلك الاجزاء معًا . فلو تهيأ لنا الوقوف على ما يجول في ذهنهِ من الافكار وما يخامرهُ من الظنون وهو يتأمَّل اصل الساعة وينظر في تركيبها لوجدنا ان في ذهنهِ حكمين راسخين الاوَّل ان تلك الساعة لم تُوجَد ممَّا لا وجود لهُ والثاني ان تركيب اجزائها لغاية مقصودة يدلُّ على انهُ ركبها مركِّب عاقل قصدًا الى غايةٍ في تركيبها

اما كون الساعة لم توجد من لا شيء فلأنَّ وجودها كذلك لا يعقل بل هو خارق لمبدإ الاتصال . اذ الاتصال يقتضي ان تكون هذه الساعة قد صُنعت من شيءٍ موجود . كالزنبرك مثلاً فانهُ فولاذ واصل الفولاذ حديدٌ عولج بالنار واصل الحديد فارٌ في الارض واصل الفارّ عنصر الحديد ايام كان مصهورًا حاميًا في قلب الارض واصل هذا العنصر جواهر متفرِّقة كانت منتشرة في السديم الذي منهُ الشمس وكل السيَّارات قبل انفصال الارض عن الشمس وهلمَّ جرًّا بالاستقراء من حالٍ الى التي قبلها حتى تتصل من الزنبرك الى السديم الذي تكوَّن النظام الشمسيُّ منهُ ومنهُ الى اصل هذا الكون كلهِ . واعسر شيءٍ على العقل وقوفهُ عند حدٍّ من الحدود في البحث عن الاصول وأروح شيءٍ لهُ الانتقال من اصلٍ الى ما قبلهُ . ولذلك لا يقنع بقول من يقول ان الساعة وُجدت كذا منذ الازل . فان مبدأ الاتصال يقتضي وجودها من سابقٍ فنقولنا انها وُجدت كذا منذ الازل خرقٌ بيِّن للاتصال ولذلك لا يرتاح العقل اليهِ ولا تستقرُّ الافكار عليهِ

واما كون الساعة صنع صانعٍ عاقلٍ فالعقل يحكم بهِ لِما يراهُ فيها من القياس والمناسبة والقصد الى غايةٍ معقولة مما لا يتأتى عن قوى الطبيعة العمياء اذا تركت لذاتها . فان هذه القوى الطبيعية غير الآلية لا تنتج القياس والنظام في اعمالها فالامواج مثلاً تلك الحصى فتكسبها الاستدارة الَّا ان استدارتها غير تامَّة ولا جارية على قياسٍ واناء والهواء والنور والحرارة تفتت الصخور وتحرِّفها الى تراب ولكن حبوب التراب لا تكون على شكلٍ وقياسٍ وحجمٍ وتركيب واحدٍ . بخلاف القوى الآلية فانها تنتج النظام والقياس في اعمالها ألا ترى المشابهة بين اثنين من عائلة واحدة وبيضتين

في عش واحد وملايين من قربة واحدة وريشتين متقابلتين في جناحي طائر واحد او طائرين متشابهين . فالقياس عظيم فيها وفي اشباهها ويزيد على ما بين حبوب الرمال وصخور الجبال ونحوها حتى يبلغ الكمال في بعض مصنوعات البشر كما في التماثيل المفرغة في قالب واحد والنقود المسكوكة بسكة واحدة والنقوش المطبوعة بطابع واحد وازرار الرصاص المصبوبة في مصبّ واحد فان التشابه بينها تامّ وبه تمتاز تمام الامتياز عن الاعمال التي تعملها القوى الغير الآلية على غير قصد ولا هدًى[1] . وما تقدّم عن الساعة يصدق على كل آلة من مصنوعات البشر وما كان كالآلة مؤلفًا من اجزاء مجتمعة معًا لقضاء غاية من الغايات فان العقل لا يسلّم بوجودها من العدم لا في هذا النظام ولا منذ الازل لما في ذلك من خرق الاتصال الذي يحيّر العقول ويذهب بالافكار . ولا يمنع بانها افعال القوى الطبيعية العمياء لظهور النظام والقياس فيها وانتفائهما من معمولات تلك القوى كما قدّمنا لك . وكلما زاد عدد تلك الآلات زاد الامتناع بانها من صنع اهل الصناعة فالذي يجد حصاةً مستديرةً على الارض قد يتردّد فيما اذا كانت استدارتها من صنع البشر او من صنع غيرهم ولكن الذي يجد مئة حصاة مستديرة استدارةً واحدةً يقطع بانها من صنع البشر لا من صنع غيرهم اذ الكثرة تزيل الشُّبُهات منها لاسباب لا تخفى عليك

هذا ولنرجع الى ما نحن فيه من الجواهر فنقول ان العلماء الطبيعيين يذهبون في ايامنا عمومًا الى ان كل الاجسام التي في هذا الكون مؤلفة من اجزاء صغيرة جدًّا تسمّى الجواهر الفردة وان هذه الجواهر مجتمعة معًا انواعًا تعرف بالدقائق . وقد اختلفوا في حقيقة هذه الجواهر اختلافًا عظيمًا فمنهم من قال انها اجزاء جامدة صغيرة لا تتجزأ ولا تتغيّر عن طبيعتها ومنهم من قال انها مراكز وهميّة كالنقط الهندسية تحفّ بكل مركز منها قوتا الجذب والدفع . ومنهم من قال انها حلقات زوبعية في سائل تامّ السيولة هو الاثير الى غير ذلك ممّا يطول شرحه ولا يحسن بي الخروج عن دائرة بحثي للخوض فيه فاقصد له غيري ان رمت الاحاطة به[2] . والمقرّر عندهم اليوم ان هذه الجواهر متساوية حجمًا مختلفة وزنًا فهي انواع متعدّدة حصلت منها العناصر البسيطة المتعددة غير ان جماعة من مشاهيرهم يذهبون الى ان الجواهر كلها في الاصل اجزاء لا تتجزأ متماثلة حجمًا ومادّةً وليس لها الاّ نوعٌ واحدٌ وانما حصل اختلاف الانواع في جواهر العناصر

---

(١) هذا حكم العلاّمتين الاسكتلنديين بستوربت وتات

(٢) تجد وجه ٢٧٧ من السنة السابعة من المنطف مقالة صافية الذيول عنوانها "الميول واقوال الفلاسفة فيها" قد بسطنا فيها الكلام على ما ذهب اليه الفلاسفة القدماء والمحدثون في ماهية الجوهر الفرد فلم تبقَ حاجة لاعادة ذلك هنا

بارتباط عدةٍ منها معًا . وعليهِ تكون الجواهر المؤلفة العناصر البسيطة منها جواهر مركبةً من تلك الجواهر البسيطة الاصلية وليست جواهر فردة لا تتجزأ[٣] . وسواءٌ كانت الجواهر المتفق عليها الآن تتحلُّ الى جواهر ابسط منها او لا تتحلُّ اليها فسلَّم عند الجميع انها متحركة على الدوام بما هي مرتبط بها من القوَّة وانها قابلة لان تهتزَّ اهتزازًا سريعًا جدًّا

فنحن نقول ان هذه الجواهر حادثة وغيرنا يقول انها قديمة. اما قولُ غيرنا فليس مبنيًّا على ثبتٍ وانما قيل قرارًا من إثبات ما وراءهُ مما لا تصل التجارب اليهِ واما قولنا فمبنيٌّ على دليلين يقنعان العاقل ويطابقان حقيقة العلم اوَّلهما انهُ لو كانت الجواهر قديمة لوجب ان يكون هذا الكون على خلاف ما هو عليهِ . وبيانهُ ان القوة وُجِدَت مع الجواهر فان كانت الجواهر ازليَّة كانت القوة كذلك اذ هما متلازمان . ومقرَّرٌ انها حيث وُجِدا فالطبع يقتضي ان القوة تفارق الجواهر بالاشعاع فتتشاءم الجواهر معًا وتصير جسمًا غازيًّا ثم سائلاً ثم جامدًا كما صارت سديمًا في بدء وجود عالمنا هذا ثم كراتٍ ذائبة ثم كراتٍ جامدة ومشتركة في السيولة والجمود. فوجود الجواهر يستلزم اجتماعها معًا حتى تنضمَّ اخيرًا في جسمٍ واحدٍ محدود ان كانت متناهية الكم او في جسم او اجسام غير متناهية في العظم ان كانت غير متناهية الكم . وعليهِ فان كانت الجواهر قد وُجِدَت منذ الازل فلا بدَّ ان تكونَ قد اجتمعت الآن في جسم واحدٍ او اجسامٍ متعددة لا حدَّ لكبرها ولا نهاية او على غاية الكبر. والحال ان عوالم هذا الكون متناهية الكبر معتدلة المقدار . فالجواهر ليست قديمة بل حادثة

---

(٣) ان جمهور الكيماويين يذهب الى ان كل عنصرٍ من العناصر مؤلف من نوعٍ خاص من الجواهر التي لا تتجزأ بواسطة من الوسائط الكيماوية المعروفة وان هذه الجواهر مختلفة وزنًا متساوية حجمًا وذلك لاعتبارات وادلة يعرفها طالب علم الكيمياء . غير ان جماعةً من مشاهير الطبيعيين يذهبون الى ان انواع هذه الجواهر مؤلفة كلها من نوعٍ واحد من الجواهر الاصلية وان هذه الجواهر مماثلة تمام المماثلة كانها قد أُفرغت في قالبٍ واحد لا في قوالب متعددة وذلك لاعتباراتٍ في علم الكيمياء وعلم الفلك ومنظار الطيف المعروف بالسبكترسكوب . واوَّل من اشتهر حدسهُ بذلك هو الدكتور بروت الكيماوي وقد بنى حدسهُ هذا على ان اوزان الجواهر في كل عنصر من العناصر هي معدودات لنصف وزن جوهر من الهيدروجين . واشتهر بذلك ايضًا اكبر الفلكي الانكليزي وبنى رايهُ على طيوف النجوم الثوابت . فانهُ وجد طيوف النجوم البيضاء النور بسيطة دلالةً على قلة ما فيها من العناصر ووجد طيوف غيرها من صفراء النور وحمراوتهِ مركبةً دلالةً على كثرة ما فيها من العناصر . ومعلوم ان بياض نور الكواكب دليل على اشتداد حرارتها وتلوُّنها بالوان أخرى دليل على انخفاض حرارتها وان الحرارة تحلُّ الاجسام المركبة الى بسائط. ولذلك حدس لكبر الفلكي المذكور ان اشتداد الحرارة في الكواكب يحلُّ البسائط التي لم تحلَّ على الارض الى ما هو ابسط منها فان صحَّ حدسهُ هذا فالعناصر المعدودة عندنا اليوم من البسائط مركبة ما هو ابسط منها

والثاني ان مبدأ الاتصال يقتضي ان يكون للطبيعة غورٌ لا يُسبر فكما اننا نحسب الزمان والمكان غير متناهيين في البداية والنهاية كذلك نحسب ان ما في هذا الكون من الاشياء لا يتناهى في تركيبهِ . فالجوهر الفرد بسيط بالاضافة الى غيرهِ ولكنهُ مشوَّش التركيب جدًّا في ذاتهِ . فما يصدق على الساعة من وجوب اصل سابق لها على ما تقدم فانهُ يصدق على الجوهر الفرد ايضًا مطابقةً لمقتضى مبدإِ الاتصال . وعليهِ فالجوهر الفرد قد تكوَّن من اصل سابق لهُ فهو حادث وليس بقديم

فثبت معنا ممَّا تقدَّم حدوث الجواهر و بالتالي يثبت حدوث العالم ايضًا . وحدوثهُ إما ان يكون بوجودهِ من العدم او بشيءٍ من عالم آخر قبلهُ . ولا يصحُّ كونهُ قد وُجد من العدم لخرق ذلك مبدأ الاتصال كما تقدَّم في استحالة وجود الساعة من العدم فبقي انهُ نشأ من عالم آخر قبلهُ يدل عليهِ العقلُ ولو لم تدركهُ الحواس . وبعبارةٍ أخرى ان هذا الكون المنظور نشأ من كونٍ غير منظور . فثبت وجود الكون غير المنظور

ويثبت ذلك ايضًا من البحث عن اصل القوة كقوة الجاذبية مثلاً فاشهر الاقوال فيها (٤) انها ذرَّات صغيرات آتية من وراء هذا العالم وذاهبة فيهِ وكلُّ مذهب فاذا صدمت جسمين ادنت احدهما من الآخر بمقدار فضل صدمها للوجهين المتحالفين على صدمها للوجهين المتقابلين كما يتضح لك بامعان النظر . فاذا صحَّ هذا القولُ فدلالتهُ على الكون غير المنظور لا تخفى على احدٍ . ومثلُ دلالة الجاذبية عليهِ دلالة سائر القوى الطبيعية مما لا اطيل عليك الكلام فيهِ

وقد زعم بعضهم ان الجواهر نشأت من الاثير وان اصل الكون المنظور الاثير غير المنظور فوجب عليَّ نفي ذلك لاعتقادي ان الكون غير المنظور ليس بالاثير المعروف عند العلماء الطبيعيين . والذين يزعمون انهُ الاثير المعروف انما يزعمون ذلك بناءً على ما ذهب اليهِ البعض من ان الجوهر الفرد ليس الاَّ حركة زوبعية في الاثير (٥) . وتنفيذًا لما زعموا اقول ان حدوث الحركة الزوبعية في الاثير يستلزم وجود محرِّك . وهذا المحرِّك إمَّا ان يكون في الاثير او خارجًا عنهُ . فان قيل انهُ في الاثير قلنا ان الادلة المعلومة تنافي ذلك وان قيل انهُ خارج الاثير قلنا ان انشاءهُ للحركة هو خلقهُ لها من خارج هذا الكون . وقد اجمع العلماء على ان اثبات الخلق رأسًا

(٤) هذا راي العلاَّمة لاساج الجنيفي وقد رأَّى السر وليم طمسن اللانكشيري رأيًا شبيهًا بهِ في الدلالة على الكون غير المنظور

(٥) هذا راي السر وليم طمسن الانكليزي وتفصيلهُ في مقالة الهولي واقوال الفلاسفة فيها، في السنة السابعة من المقتطف

لامرٍ انما يكون عند امتناع التعليل له بعلّة ثانويّة واستحالة الانتقال الفكري منهُ الى اصلٍ قريب لهُ غير اصل الاصول وعلّة العلَل الخالق سبحانهُ وتعالى . فالخلقُ مسلّمٌ ولكن العقل وكلّ ما في هذا الكون يدلُّ على ان الخالق سبحانهُ انما جرى في خلقهِ على طرق معقولة مطابقة لمبدإ الاتصال ولم يخرج عنها في كل ما هو معلوم ومعقول . واما انشاء الحركة في الاثير على ما نتقدم فلا يعقل ولا يطابق مبدأ الاتصال فهو مردود . فالكون غير المنظور ليس بالاثير

ثم ان الذين يدّعون منافاة العلم للخلود يقولون انهُ لا يوجد غير الجوهر والقوة والاثير . وان بقاء الحياة في الاثير محال فالخلود محال . وقد ابنت لك ان دلائل العلم تقتضي ان يكون الجوهر والقوة قد نشآ من كون غير منظور هو غير الاثير فالخلود فيهِ غير محال بل ممكن وليس في العلم منافاة لذلك ولا في قولهم اعتراض على ما اذهب اليهِ . وهذا الكون الغير المنظور وان كان لا تراهُ الابصار فانهُ يشبه الكون المنظور في انهُ قد نشأ من كون آخر قبلهُ مختلف عنهُ في رتبتهِ وهذا ما قبلهُ وهلمَّ جرًّا لاقتضاء مبدإ الاتصال توالي مراتب الاكوان الى ما شاء الله . وكما يرتبط الغير المنظور بالمنظور الموالي لهُ هكذا يرتبط ذاك بما وراءهُ وهلمَّ جرًّا بحيث يحصل من مجموع الاكوان معًا كلٌّ واحدٌ لا حد لقوتهِ

واذ قد اثبتُّ بذلك وجود كون غير منظور نشأ هذا الكون المنظور منهُ اشرع في بيان الوجه الذي جرى التشوه عليهِ فاقول انهُ انما يوجد لذلك وجهان الاول ان الكون غير المنظور هو شيءٌ ذو قوًى فارتقى من نفسهِ حتى صار جواهر فردة وقوًى يتألف الكون المنظور منها والثاني ان في الكون غير المنظور كائنًا عاقلاً يفعل فيهِ افعالهُ على طرق معقولة فرقّى غير المنظور حتى جعلهُ جواهر وقوًى في رتبة المنظور . والمقبول عندي هو الوجه الثاني والدليل على صحتهِ هو الجواهر الفردة فقد قدمت لك آنفًا ان الجواهر الفردة . إما ان تكون كلها على مثال واحد ومن نوع واحد واما ان تكون كذلك من انواع مختلفة وهي على الحالين تشبه الساعات او الآلات الاخرى في الدلالة على انها صنعة صانع عاقل كما اوضحتهُ مفصلاً في مثال الساعة وفي تمييز ما تعملهُ قوى الطبيعة العمياء عما تعملهُ القوى الحية والعاقلة . فقياس الجواهر على الساعة ونحوها من الآلات يحكم انها صنعة صانع عاقل لما بينهما من التمثيل . اذًا قد نشأت مادة الكون المنظور من مادة الكون الغير المنظور بقدرة كائن عاقل عامل فيهِ . ولولا خوفي من طول الاجل قبل البلوغ الى المقصود لافضت في الكلام عن ارتقاء القوى الطبيعية والحياة نفسها[٦] من غير المنظور الى الكون

(٦) ذلك مبني على انهُ لا يتولد الحي الاَّ من حي كما هو متفق عليهِ عند اكثر العلماء ولم نتعرَّض لتفصيلهِ هنا مع اقتضاء البحث لهُ واعداد ما يلزمهُ من المواد مراعاةً لضيق المقام

المنظور بحيث تتبين ان ما في هذا منها مستمد من ذاك بقوة كائن عاقل عامل فيه كما يدلنا عليه قياس التمثيل كحسبي من ذلك ما تقدم

والخلاصة ان القياس يدلنا على وجود كون غير منظور نشأ هذا الكون المنظور منه والتمثيل يدلنا على ان ذلك الكون الغير المنظور نشأت منه الحياة وسائر القوات بقوة عاقل عامل فيه فهو ملآن قوة روحية . بقي عليّ ان ابيّن لك كيفية امكان الخلود فيه

في كيفية امكان الخلود

علمت مما مرّ ان هذا العالم لا يناسب الخلود الارواح فيه فكل انسان زائل منه . وكذا نوع الانسان مهما طال بقاؤه فيه فانه زائل عنه منقرض منه لا محالة ومصير العالم باسره الى الموت والزوال فالارض وسائر السيارات تقع على الشمس والشمس تبرد وتظلم ثم تقع على كوكب آخر وهكذا حتى تبرد كواكب الكون كلها وتظلم وتجتمع معًا وربما زالت بعد ذلك واضمحلت ولم تعد الابصار تراها كما كانت قبل انشائها وارتقائها

هذا في ما يتعلق بهيولى الكون واما القوة فقد علمت ان القليل منها يستعمل لقضاء حاجة نافعة فيه والكثير يذهب سدًى على ما نرى. كحرارة الشمس ونورها مثلاً فانه لا يصيب السيارات منها الاّ القليل والباقي يخترق جوانب الكون بسرعة تزيد عن ١٨٨ الف ميل في الثانية على غير منفعة ظاهرة . فهذه القوة اما ان تذهب سدًى او ان تحوّل في طريقها لغاية أُخرى. اما كونها تذهب سدًى فمستبعد ولا سيما لان نفادها من الكون ينتج موته وخرابه فيكون كأنها قد وجدت لتدميره وللعبث بعد ذلك . واما كونها تحوّل لغاية فاقرب الى التصديق وقد زعم بعض العلماء ان الاثير غير تام الشفوف فيحوّل بعض تلك القوة مما هي عليه الى رتبة غير رتبتها . وما يصدق على النور والحرارة يصدق ايضًا على الجاذبية وكل حركة يهتزّ بها دقائق الاجسام كالفكر اذ كل فكر نفتكره يغيّر منه وضع الدقائق التي يتألف الدماغ منها فيحصل من ذلك حركة تنتقل من الدماغ وتنتشر في كل النواحي كما تنتشر الامواج في الماء الساكن من وقوع حصاة فيه او تنتشر امواج النور والحرارة في نواحي الفضاء من اهتزاز الدقائق التي منها تألف الشمس وكل جسم مضيء

ولقد ابنت لك ان ما يتألف منه هذا الكون المنظور من الهيولى والقوة قد نشأ من كون غير منظور وان هذا الكون غير المنظور يتضمن مراتب لا نهاية لها مرتبطة كلها معًا وبالكون المنظور ارتباطًا واحدًا بحيث يتركب الكون باسره منها . فذلك يدلك ان كل حادث يحدث لا ينحصر في مرتبة واحدة من مراتب الكون بل يتصل اليها كلها سوائه نظرنا الى سوابقه او توالية

اعني انهُ يوجد الآن كون غير منظور مرتبط بهذا الكون المنظور ارتباطًا شديدًا وقادر ان يؤثر فيهِ بالقوة فهو بهذا الاعتبار فاعل والمنظور منفعل

ثم اذا ثبت ما بين المنظور وغير المنظور من الارتباط وتأثير غير المنظور في المنظور بالقوة فايسر ما يصدقهُ العقل ان المنظور ايضًا يؤدي من قوتهِ الى غير المنظور وسنا يقبلها ويحولها مما هي عليهِ الى غير ما هي عليهِ اعني ان القوة التي تفارق هذا الكون المنظور غير عاملة فيهِ عملاً لا تبدّد سدًى كما يُزعَم لاوّل وهلة بل تدخل ساحة غير المنظور متحولة فيهِ الى ما يلائم طبعهُ مما لا يدرك بالحواس . نعم ان قولي هذا ليس عليهِ برهان ولكن العقل مفطور على ترجيحهِ على خلافهِ اذ العقل كما قلت يستبعد التصديق بان اكثر قوى هذا الكون يذهب عبثًا واقلها ينتفع بهِ ويستغرب التصديق بانها لا تذهب سدًى بل انها تتحوّل للنفع في عالم آخر كما نفعت في هذا العالم

واذا فهمت ما تقدم سهل عليك ان تتصوّر كيف يمكن الخلود في عالم غير منظور وبيانهُ ان الفكر وهو عبارة عن فعل العقل او النفس يؤثر في الدماغ تأثيرًا خاصًا تحصل منهُ الذاكرة والحافظة في الدماغ نفسهِ[٧] . وكل فكر مصحوب بحركات اصلها من الكون غير المنظور وتأثيرها يصل ايضًا اليهِ اذ قد ابنت لك آنفًا ان القوى التي هي اصل هذه الحركات قد نشأت من الغير المنظور وان كل حركة تحدث في هذا الكون تبلغ غير المنظور وتؤثر فيهِ . فتأثير الفكر في غير المنظور مع تأثيرهِ في هذا المنظور ايضًا يوضح لنا كيفية الخلود على وجه معقول مقبول . ولزيادة البسط نقول انهُ لما كان المنظور مرتبطًا بغير المنظور فلسمِّ الرابط بين الانسان في هذا العالم وبين غير المنظور النفس او ما شئت من الاسماء . فكل فكر يفتكرهُ الانسان تهتزُّ معهُ الدقائق التي يتألف الدماغ منها وتتغير اوضاعها فيتحوّل بعض الحركات الحاصلة من ذلك ويحفظ على دقائق الدماغ فتحصل منهُ الحافظة والذاكرة الطبيعية او المادية . واما البعض الآخر فيذهب الى غير المنظور المرتبط بهذا المنظور على ما تقدم ويحفظ فيهِ فيحصل من ذلك حافظة وذاكرة يعتمد عليهما غير المنظور حين يحل ارتباطهُ بالمنظور فينفرد بذاتهِ مستقلاً بانعالهِ . وانت تذكر ما مرَّ عليك ان الادلة التي يستدل بها على وجود الكون غير المنظور تدل ايضًا على انهُ يكون مملوءًا من القوة بعد مفارقة القوة للكون المنظور واضمحلال ما فيهِ . وعليهِ تكون النفس مختلفة قوةً حين مفارقتها للجسد زائدةً اقتدارًا على العمل في الحال حافظةً ما مرَّ بالجسد في ماضي ايامهِ لما قدمنهُ

(٧) قد اسنوفينا بيان ذلك وبسطنا الكلام على الذاكرة من وجوه شتى في مقالة عنوانها محاضرة في الذاكرة وجه ١٩٣ وما بعدهُ من السنة الثامنة من المقتطف

لك من ان كل فكر يحفظ فيها حين تأثيره وحفظه في الدماغ. فتستكمل النفس بذلك الشرطين اللازمين لوجود كل كائن عاقل وجوداً متصلاً وهما حفظ ما مضى والعمل في الحال كما ذكرت في ما سلف من الكلام. فهذا بيان لكيفية امكان الخلود في العالم المنظور لا يستبعدها عاقل ولا ينفيها دليل.

والخلاصة من كل ما ذكرته لك في شأن الخلود ان العلم لا ينفيه بوجه من الوجوه خلافاً للذين يزعمون انه ينفيه وان هذا الكون المنظور قد نشأ اصلهُ من كون غير منظور بقدرة كائن عاقل فاعل فيه. وان المنظور وغير المنظور مرتبطان معاً ومتفاعلان بمعنى ان قوة الواحد تؤثر في مادة الآخر وان الخلود ممكن على وجه معقول ومقبول في غير المنظور ولا يكون في المنظور. وهذا ما كان عليَّ ان اثبتهُ لك تبرئةً للعلم ممن يتهمهُ بما ليس فيه. ولما كان العلم بمعزل عن منافاة الخلود بل كانت الدلائل التي قدمتها تعزز صحة وقوعه فلك ندحة واسعة لاقامة كل ما هو معلوم عندك من الادلة على اثباته او القطع به مثل حنين البشر اليه واعتقاد كل الشعوب المتمدنة به وما ورد في التاريخ من الحوادث المقررة له وما جاء في الكتب المنزلة من الاقوال عنه. هذه كلها ادلة يؤيد العلم بعضها ولا يتعرض للبعض الآخر منها فحدِّث بها ولا حرج. ولولا ما اجد فيَّ من وهن العزائم وضعف القوى ما اقتصرت عن البحث ولا امسكت عن الكلام

قال الباحث ولم يأتِ الشيخ على تمام كلامه حتى اتى على ختام ايامه فشخص الى السماء لا يتكلم ثم زفر طويلاً وتبسَّم فطارت نفسهُ الى دار الخلود وتوارت جثتهُ بين هاتيك اللحود

الاسد في بلاد الأُسُود

الأَسدُ ملك الضواري واكبرها جسماً واشدها بأساً والذكر منهُ ليفهُ كثيفة على رأسهِ وعنقهِ ينفشها اذا ازبأرَّ فتزيدهُ مهابةً. واللبوة هي انثاهُ لا ليفة لها وهي اصغر منهُ قداً واسرع عدواً وتلد جروين او ثلاثة او اربعة في البطن الواحد وتقيم عليها مع الاسد تعتني بها وتروضها الى ان تبلغ اشدها

وكانت الاسود قديماً كثيرة في الدنيا وبقيت منها بقيةٌ تُذكَر في اواسط اسيا وجنوبي اوربا الى ايام اليهود والرومانيين ثم انقرضت من كل اوربا ومن الشام والعراق. ولا توجد الآن الاَّ في افريقية وبعض انحاء اسيا كبلاد العرب والهند وفارس. والاسد الافريقي اكبرها جسماً واشدها بأساً فان طول الكبير منهُ من انفهِ الى اصل ذنبهِ نحو ثماني اقدام وطول ذنبهِ نحو اربع